وتناقش المؤلفة، ايضاً، تركيبة «فتح»، لتخلص الى أن معظم فدائييها من شبان المخيمات من جيل هزيمة ١٩٤٨ وما بعدها. وتشير المؤلفة الى أن هذه الفترة كانت فترة الانفتاح العربي والدولي لـ «فتح»، والتي حاولت نظم عربيـة عدة استغلالها لصالحها. كما تناقش انعكاسات مذبحة أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ على العمل الفلسطيني ودورها في تدمير أول قاعدة أساسية للكفاح المسلح الفلسطيني.

ويبدأ الفصل الرابع «المصيدة» من حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ وتطلع قادة «فتح» للافادة من الحركة الدبلوماسية التي اعقبتها، وتطور الفكر الفلسطيني في اتجاه اطروحة السلطة الوطنية فوق الاراضي المحررة، وذلك في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثانية عشرة في القاهرة في حزيران (يونيو) ١٩٧٤ التي اسفـرت عن برنـامـج النقـاط العشر. وتتعـرض المؤلفة، أيضاً، الى تكوين جبهة الرفض الفلسـطينية من اربع منظمات: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، وجبهة التحرير العربية، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، لمعارضة فكرة السلطة الوطنية ورفض عملية التسوية السلمية في ظل اختلال توازن القوى مع العدو الاسرائيلي.

وتـلاحـظ المـؤلفة أنه على الرغم من هذا الخلاف، كانت تلك هي الفترة التي حقق فيها النضال الفلسطيني النجاح الدبلوماسي على الاصعدة العربية والافريقية والاسلامية، وفي حركة عدم الانحياز وهيئة الامم المتحدة. لكن كانت هي الفترة عينها التي شهدت، في المقابل، نجاح هنري كيسنجر في اختراق المعسكـر العـربي وتكريس الخلاف بين مصر وسوريا، وجذب مصر السادات خطوات أبعد على طريق التسوية. كما شهدت الفترة عينها الخسائر الفلسطينية في الحرب الاهلية اللبنانية التي حاول قادة «فتح» تجنب التورط فيها حتى أرغموا على ذلك. كما حاولوا تجنب المواجهة مع سوريا ولم يفلحوا ايضاً.

وتخلص المؤلفة الى أن هذه الحرب اضعفت كل فصائل المقاومة بسبب فقدها للمئات من كوادرها وتـزايد العداء السوري لها، فضلاً عن المكاسب التي حصلت عليها اسرائيل، وذلك باستقطابها فريقاً يؤيدها صراحة ـ لاول مرة ـ في جنوب لبنان (مجموعة سعد حداد العميلة التي يقودها، الآن، انطوان لحد). والواضح أن التورط الذي أرغمت عليه منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان كان هو المصيدة التي تقصدها المؤلفة.

وفي الفصل الخامس تذكر ان هذه المصيدة بدأت تضيق على الطائر الفلسطيني في السنوات من ١٩٧٧ وحتى ١٩٨١، والتي تعتبرها أعواماً صعبة بالنسبة إلى القيادة الفلسطينية على الرغم من ان خسائر المقاومة في حرب لبنان كانت أقل من الدمار الذي تعرضت له قواعدها في الاردن ١٩٧٠ ـ ١٩٧١.

وتعرض المؤلفة للجدل الذي شهدته تلك الفترة حول مؤتمر جنيف للسلام، عندما اثيرت مسألة القرار ٢٤٢ لاول مرة كشرط اميركي للحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية. والقارىء لهذا الجزء من الكتاب يكاد يشعر بأن السيناريو ذاته الذي شهدته تلك الفترة هو الذي تكرر مؤخراً، بصورة أخرى واطراف متغيرين، ليقـود الى انهـاء الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني. ففي العام ١٩٧٦ أبدت منظمة التحرير الفلسطينية استعدادها للنظر في ذلك القرار اذا كان هذا يضمن لها مقعداً في مؤتمر جنيف. الا ان الولايات المتحدة الاميركية اصرت على الفصل بين الموضوعين، على اساس أن القبول بالقرار يمنح المنظمة «حق» اجراء اتصالات مع الولايات المتحدة فقط. وجاءت مبادرة السادات بزيارة القدس المحتلة، التي دانتها منظمة التحرير الفلسطينية على الفور لتنهي هذه المرحلة.

وفي الفصل السادس، تصل المؤلفة بقرائها الى ما تسميه «الجناح المكسور»، وهو عنوان الفصل الذي يشمـل الفتـرة الممتـدة حتى شبـاط (فبـراير) ١٩٨٣: الخروج الفلسطيني من بيروت، وتزايد حدة الصعـوبـات والتعقيـدات التي تواجههـا منظمة التحرير الفلسطينية بسبب كامب ديفيد، من ناحية، وتصـاعد القمع الاسرائيلي في الاراضي المحتلة، من ناحية ثانية، ثم المحاولة الاسرائيلية لتدمير القاعدة الاساسية للنضال الفلسطيني عبر الغزو الذي تعرض له لبنان في حزيران (يونيو) ١٩٨٢ والخروج الفلسطيني من بيروت، ثم الانشقاق داخل «فتح» وتصاعد المواجهة مع سوريا. وبهذا الفصل ينتهي الجزء الاول من الكتاب، لتنتقل المؤلفة الى الجزء الثاني المخصص للعلاقات الداخلية في منظمة التحرير.